فنية كبرى نظراً لاختلاف ظروفنا وذوقنا الذي يضرب بجذور عميقة تختلف عن الأذواق الأوربية ، فقد وجد بشكل أو آخر لدى هذا الأديب أو ذاك ، وأود أن أشير إلى كاتب واحد وهو الدكتور زكريا ابراهيم الذي عبّر عن تقديسه للجمال حد العبادة ، جرياً وراء المثال الأوربي ، وذلك بقوله في مقدمة كتابه (مشكلة الفن) ، (. . . وهكذا كان لابد لكاتب هذه السطور أن يتكلم ، وإن كان يعلم حق العلم أنه ليس في وسع من كان في مثل عيه سوى أن يقترب من محراب الفن خاشعاً ، مرتجفاً معفّراً جبهته تحت أقدام ربات الشعر Muses !! » (٤) فليس لمسلمٍ معبودٌ تُعفر له الجباه بالتراب سوى الله !! .

إن اعتبار الجمال أساساً في تذوق الفن والأدب مسألة فيها نظر، ذلك أن الإحساس بالجمال والتمتع بنص أدبي ، أو لوحة فنية ، أو أي أثر فني آخر ، أمر لايكون بدرجة واحدة لدى الناس كافة على مختلف بيئاتهم وأفكارهم وعقائدهم ، بل إن مايكون جميلاً لدى هذا الفرد أو الجماعة قد يكون قبيحاً لدى البعض الآخر من الأفراد والجماعات والأمم . بمعنى أن الناس لايشتركون في درجة واحدة حين يتلقون الجمال . فمايراه المسلم جميلاً ، قد يراه الماركسي قبيحاً ، وبالعكس ، ومايراه الناس في عالم الترف والإستكبار جميلاً ، قد يراه الناس في عالم الإستضعاف والفقر والعوز والحاجة قبيحاً ، والعكس صحيح كذلك . ذلك أن الجمال لم يكن له وجود خارجي يشترك الناس جميعاً في إدراكه والإحساس به ، وإذا كان الأمر كذلك ، فإنه لابد من البحث عن أثر أخر - غير الجمال - في تقويم الفن ، واعتباره أساساً لفهمه (٥) .

وإذا ماانتقلنا إلى الإتجاهات الواقعية في الفكر والأدب الأوربي ، فإننا نجدها تعتبر هذه العناية الفائقة بالجمال المحض صورة من صور انحطاط الأدب الذي هو انعكاس لإفلاس المجتمع الرأسمالي ومظهر من مظاهر الإستلاب الذي تمارسه الطبقات المتسلطة في المجتمع الأوربي ، ولهذا تراها توجهت إلى العناية بالمضمون